

اسم المادة: ٠٧ توحيد الألوهية

من سلسلة: الوحي وبناء الإيمان

لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: ٠٧ توحيد الألوهية
من سلسلة: الوحي وبناء الإيمان
لفضيلة الشيخ: أحمد جلال
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-214345.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد؛

اللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وإليك يُرجع الأمر كله علانيته وسره، فأهلٌ أنت أن تُحمد، وأهلٌ أنت أن تُعبد، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

اللهم لك الحمد في الأولى والآخرة، اللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيءٍ بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد.

اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

بعد ما انتهينا بفضل الله -سبحانه وتعالى- من توحيد الربوبية ومعرفة معاني توحيد الربوبية. وكيف تكلم الوحي عن توحيد الربوبية لله -سبحانه وتعالى-. وعرفنا ثمرات توحيد الربوبية وآثار توحيد الربوبية، وما هي الأفعال التي يقوم بها البعض وهي تناقض توحيد الربوبية.

ننتقل اليوم بإذن الله -تبارك وتعالى- إلى النوع الثاني من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية؛ توحيد الألوهية لله -سبحانه وتعالى-.

قبل ما نتكلم عن توحيد الألوهية ومعانيه عايز أتكلم معاكم على نقطة تكون هي إن شاء الله البوابة اللي تخلينا نفهم أصلًا يعني إيه توحيد ألوهية.

كان الأصل أن الله -سبحانه وتعالى- خلق الناس كلهم حنفاء، زي ما النبي قال لنا في الحديث: قال الله -عز وجل-: "وإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّـــيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ"[1]، ربنا -سبحانه وتعالى- فطر النفوس وفطر الخلق على توحيده -سبحانه وتعالى-، وعلى إخلاص العبودية له -سبحانه وتعالى-، إذ لا معبود بحقٍ إلا الله -سبحانه وتعالى-، إلا أن الشياطين جاءت فاجتالت الناس عن ربهم وعن دينهم، حتى غالى البعض في الأنبياء والمرسلين فعبدوهم من دون الله -سبحانه وتعالى-.


[1] صحيح مسلم

- قال الله وتعالى- حاكيًا ما يكون بينه وبين عيسى -عليه الصلاة والسلام- في يوم القيامة: "أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ" المائدة:١١٦، هناك أقوام عبدوا عيسى -صلوات ربي وسلامه عليه-.

- وبعض الناس انحرفت عن دينها، فلما عبدوا عبدوا العلماء من دون الله -سبحانه وتعالى-، كما حصل الغلو في قوم نوح أحبوا علماءهم وعظموهم وغلوا في حبهم، وجيل ورا جيل عبدوا العلماء من دون الله -سبحانه وتعالى-.

قال -تعالى-: "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا" نوح:٢٣، أصبح العلماء آلهة تعبد من دون الله -سبحانه وتعالى-.

- بل بعضهم عبد الملائكة من دون الله، كما قال ربنا -تبارك وتعالى-: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ" سبأ:٤٠، اتخذوا الملائكة آلهة فعبدوها من دون الله -سبحانه وتعالى-.

- بل كانوا يعبدون الجن كما قال الله -عز وجل-، وقال -تعالى-: "وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ" الجن:٦، توجهت عبادتهم، خوفهم، حبهم، رجاؤهم، استغاثتهم راحت للجن من دون الله -عز وجل-.

- وبعضهم بدل من أن يصرف عبادته لله صرفها لحجارة تُعبد من الله -عز وجل-، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي رجاء العطاردي -رضي الله عنه- أنه قال: "كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ -احنا كنا بنعبد الحجارة في الجاهلية-، فَإِذَا وجَدْنَا حَجَرًا هو أخْيَرُ منه ألْقَيْنَاهُ، وأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً مِن تُرَابٍ -يجمع شوية تراب كده- ثُمَّ جِئْنَا بالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عليه -أي على هذا التراب- ثُمَّ طُفْنَا به" ثم بعد ذلك جعلناه وثنًا نطوف به ونعبده من دون الله -سبحانه وتعالى-.

الكعبة كان حواليها تلتمائة وستين صنم يُعبد من دون الله -سبحانه وتعالى-، والعرب قالت إن احنا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله، صرفوا عبادتهم لهذه الأصنام ولهذه الأوثان، قال -تعالى-: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى" الزمر:٣.

- عبدوا الكواكب بل عبد بعضهم بعضًا "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ -بصوا اللي جاية دي- أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ" التوبة:٣١، أربابًا من دون الله، انحرفت البشرية، انحرفت البشرية عن مفهوم توحيد الألوهية لله -سبحانه وتعالى-. فلما حصل هذا الانحراف أرسل الله -عز وجل- أنبياء ومرسلين علشان يُصححوا عند الناس مفهوم توحيد الألوهية؛ مفهوم العبودية لله -سبحانه وتعالى-.

قال -تعالى-: "وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" الأعراف:٦٥، اعبدوا الله ما لكم من إله، ويكأن توحيد الألوهية هو في الحقيقة، إفراد الرب -سبحانه وتعالى- بالعبادة.

"وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ -ليه؟- مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" هود:٦١.

مفهوم توحيد الألوهية: إخلاص العبودية لله -سبحانه وتعالى-، لا معبود بحق إلا الله -سبحانه وتعالى-.

وكل نبي وكل رسول بعث في أمة من الأمم كان بيؤكد على هذا الأصل "وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" هود:٨٤.

وإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- أنكر على أمته صرفهم العبادة لغير الله، "قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ -لأن الألوهية معناها إخلاص العبودية لله -سبحانه وتعالى- قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" الأنبياء٦٦:٦٧، فليس من العقل أن يكون الله هو الإله وتُصرف العبادة لغير هذا الإله الخالق.

بعد المقدمة دي اللي رأينا فيها انحراف الأمم عن الطريق الصحيح في فهم توحيد الألوهية، وأن الطريق الصحيح هو أن توحيد الألوهية صرف العبادة لله -سبحانه وتعالى-.

تعالوا بقى نفهم هو يعني إيه أصلًا توحيد الألوهية؟ وما معنى الإله؟



المعنى الأول: العبودية لله

توحيد الألوهية باختصار: الألوهية نسبة إلى الإله، من هو الإله؟

قال بعض أهل العلم وده المعنى الأول، قالوا الإله كلمة مأخوذة من: أَلَهَ يَأْلَه أي عَبَد يَعْبُد.

فيكون معنى توحيد الألوهية: العبودية لله –سبحانه وتعالى–.

ولذا أثنى الله –سبحانه وتعالى– على أنبيائه والمرسلين إن هم فهموا توحيد الألوهية صح فكانت عبوديتهم لله –سبحانه وتعالى–. عبادتهم مصروفة لله ما صرفوها لغير الله –عز وجل–. وهذا أعظم مقامات العبد وأشرف مقام ينزل فيه العبد إنه يفهم توحيد الألوهية صح، فيتعبد لله ويكون عبدًا خالصًا لله –سبحانه وتعالى–.

– قال الله –عز وجل–: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ" ص:١٧، اذكر عبدنا داود فهم توحيد الألوهية صح. قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كان داود أعبد البشر"، شوفوا فهم توحيد الألوهية بصورة صحيحة، أحب الصيام إلى الله صيام داود، أحب القيام إلى الله قيام داود، فهم توحيد الألوهية فكانت عبادته مصروفة لله –عز وجل–، بذل جهده في هذه العبودية. "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ –أي صاحب القوة في طاعة الله وفي عبادة الله– إِنَّهُ أَوَّابٌ" أي عابدًا خالصًا لله –سبحانه وتعالى–، كثير الرجوع إلى الله –عز وجل– بالعبادة وبالطاعة، ليه؟ حد فاهم توحيد الألوهية صح.

– قال الله –سبحانه وتعالى–: "وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ" ص:٣٠.

– وقال الله في شأن أيوب –عليه الصلاة والسلام–: "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ" ص:٤٤، ليه؟ فهموا توحيد الألوهية، إن توحيد الألوهية معناه: إخلاص العبودية لله –سبحانه وتعالى–.

المعنى الثاني: الفزع واللجوء لله

طب والمعنى التاني؟ المعنى التاني إن إله مأخوذة من وله يوله، أي فزع ولجأ، وده لنا إن من أعظم معاني توحيد الألوهية أنك تفزع وتلجأ إلى الله –سبحانه وتعالى– في وقت ضرك في وقت أزمتك في وقت شدتك لا تلجأ لعبدٍ مثلك، لا تلجأ لعبدٍ مثلك حيًا كان أو ميت، لا تلجأ لملك، لا تلجأ لجن، لا تلجأ لكاهن، لا تلجأ لأحد، لا تلجأ إلا لربك –سبحانه وتعالى–، لأن معنى توحيد الألوهية أن يكون فزعك أن يكون لجؤك لله –سبحانه وتعالى–.

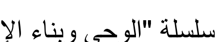
وفهم الإنسان لهذا المعنى من معاني التوحيد يضفي على قلبك بقى السكينة والطمأنينة، وشوف –سبحان الله– كيف أن يونس –عليه الصلاة والسلام– في وقت فزعه، في وقت لجئه، في وقت ضره، في وقت محنته لجأ إلى هذا الإله، الإله –سبحانه وتعالى– هو الذي إليه ألجأ وإليه أفزع وبه أستغيث.

لما التقم الحوت يونس –عليه الصلاة والسلام– أول شيء فزع إليه يونس هو توحيد الألوهية، فقال: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ" الأنبياء:٨٧، ليه؟ لإنه فهم توحيد الألوهية بصورة صحيحة، سبحان الله! إن فزعي، استغاثتي، في وقت شدتي لا ألجأ لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي من أولياء الله، فزعي إنما يكون لله –سبحانه وتعالى–.

توحيد الألوهية معناه: في وقت أزمتك فإنك تلجأ إلى الله، النبي –صلى الله عليه وسلم– لما فهم هذا المعنى، فَهَّمَه النبي لأبي بكر، لما كان في الغار، والمشركون وقوف على الغار، قال أبو بكر: "يا رَسولَ اللَّهِ، لو أنَّ أحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قالَ: ما ظَنُّكَ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا"[٢]، يعني إيه الله ثالثهما؟ ارجع إليه، الجأ إليه، فهو –سبحانه وتعالى– الذي يُلجأ إليه ويُفزع إليه ويُستغاث به –سبحانه وتعالى–.

---

٢ أخرجه البخاري ومسلم



ولو كل إنسان منا في وقت شدته فزع إلى هذا الإله لوجد إلهًا يدبر له الأمر وينجيه من هذا "قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ" الأنعام:٦٤، ربنا –سبحانه وتعالى– ينجيك من هذا الكرب وينجيك من هذا الهم ومن هذا الغم.

المعنى الثالث: شدة الشوق والحب لله

طب والمعنى التالت؟ يقولوا الوله؛ الإله من الوله، والوله هو شدة الشوق والحب، سبحان الله! علماء اللغة بيضربوا مثل بيقولوا: إن الأم إذا غاب عنها يقال عنها: ولهت لولدها، عارفين الأم لما الابن بيغيب عنها سنة ولا اتنين ولا تلاتة ويقولوا لها الطيارة هتوصل بكرة وابنك جاي بكرة، وتسمع إن ابنها خلاص وصل على ناصية الشارع، شفتم الوله اللي بيكون عندها، التلهف اللي بيكون عندها، تجري عليه حبًا وشوقًا ولله المثل الأعلى، يقولوا توحيد الألوهية معناه إن يكون عندك شوق وحب لله –سبحانه وتعالى–، "ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللهُ –مش ربنا– ورسولُهُ أحبُّ إليه مِمَّا سِواهُما"[3]، هذا النوع من معاني توحيد الألوهية يخليك دايمًا في حب وشوق إلى الله –سبحانه وتعالى–.

تلاقي النبي –صلى الله عليه وسلم– بيعلمنا هذا التوحيد، فيقول اللهم اللي هي معناها يا الله حُذفت الياء وعوض عنها بالميم المشدد في النهاية فصارت اللهم؛ اللهم إني "أسألُكَ حبَّكَ وحبَّ من يحبُّكَ، وحبَّ عملٍ يقرّبُ إلى حُبّكَ"[4].

فمن معاني توحيد الألوهية إنك تحب ربنا، يكون عندك شوق إلى لقائه زي ما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: أسألك الشوق إلى لقائك، تحب كل حاجة ربنا بيحبها.

النبي لما عرف إن ربنا –سبحانه وتعالى– بيحب الجهاد فيقول: "لوَدِدتُ أنّي أُقتَلُ في سبيلِ اللهِ ثمَّ أُحيا، ثمَّ أُقتَلُ ثمَّ أُحيا، ثمَّ أُقتَلُ ثمَّ أُحيا، ثمَّ أُقتَلُ"[5]، ليه؟ لإن ربنا بيحب ده، هفضل طول عمري محب لده. خدت بالك معايا؟

سبحان الملك القدوس معنى الحب، شوف ربنا –سبحانه وتعالى– بيتكلم عن عباده المؤمنين: "وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا" ماقالش للرب، ولكن قال: "وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله" البقرة:١٦٥ لله لله، هذا المعنى من معاني توحيد الألوهية يجعل قلبك متوجه إلى الله –عز وجل– دائما بالحب.

انت قايم تصلي إنك تحب هذا الإله.

– عارفين لما النبي قال: "ورجلٌ قلبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمسجدِ"[6]، ده اللي فيه توحيد الألوهية صح؟ فهو خارج من المسجد من صلاة المغرب وسايب قلبه هناك معلق؛ معلق بهذا المسجد لأن المسجد ده بيت الإله؛ بيت الإله –سبحانه وتعالى–.

– عارفين "فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ" إبراهيم:٣٧، إلى هذا البيت العظيم هو ده توحيد الألوهية في أعظم معانيه، هو الحب والشوق.

– عارفين النبي لما كان بيقول: وأسألك الشوق إلى لقائك، هو ده توحيد الألوهية، ده توحيد الألوهية كما يصوره لنا الوحي، شدة الحب لهذا الإله، وشدة الشوق لهذا الإله، سبحان الله! هذا المعنى من معاني التوحيد إذا استقر يجعل قلب الإنسان معلق بالله، يترك كل زيف الدنيا، سحرة فرعون يخشوا على فرعون يقولوا له "إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * –ويوعدهم– قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" الأعراف١١٣:١١٤، لكم الفلوس ولكم الأموال ولكم العطايا ولكم المكانة ولكم كل حاجة، ولكن يوم أن استطاع موسى أن يغرس فيهم توحيد الألوهية بيبقى سهل عليهم جدًا يسيبوا المال ويسيبوا الجاه ويسيبوا القرب من الملك، "قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا" طه:٧٢،

[3] أخرجه البخاري ومسلم
[4] صحيح الترمذي
[5] صحيح الجامع
[6] صحيح الجامع



احنا ما نقدرش نقدم حاجة على حب ربنا، لما استقر حب الله في قلوبهم قالوا: "وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" طه:٧٣. فهموا توحيد الألوهية صح، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى، يا الله! يا الله!

لما نفهم توحيد الألوهية صح، توحيد الألوهية يوم ما استقر في قلب امرأة العزيز[٧]، هان عليها المُلك، وهان عليها القصر، وهان عليها حياة عظيمة كانت عايشة فيها، سيدة مصر الأولى، هان عليها كل ده؟ لإن توحيد الألوهية استقر في قلبها، فما أصبح في قلبها انشغال إلا بهذا الإله –سبحانه وتعالى–، "رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" التحريم:١١.

توحيد الألوهية يأتي بمعنى العبودية، يأتي بمعنى الفزع واللجوء إلى الله، يأتي بمعنى شدة الحب والشوق إلى الله –سبحانه وتعالى–.

والمعنى الرابع؟

يقول العلماء ألهت إليه إذا سكنت، والمعنى ده من الثمرات المترتبة على فهمك لتوحيد الألوهية، تلاقي –سبحان الله– كلما ازداد فهم الإنسان لتوحيد الألوهية بقى عنده سكون إلى الله –سبحانه وتعالى–، لا يجد راحة القلب وسكون النفس وطمأنينة القلب وانشراح الصدر إلا إذا كان في القرب من هذا الإله.

قال بعضهم: "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أحلى ما فيها، قالوا وما أحلى ما فيها؟! قالوا: الأنس بالله والأنس بذكره –سبحانه وتعالى–.

وقال بعضهم: "مساكين أهل الدنيا؛ والله لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف"، سبحان الله! كلما ازداد الإنسان معرفة بتوحيد الألوهية كلما سكنت نفسه واطمأن قلبه، سبحان الله!

لذا كان الإمام ابن القيم –رحمة الله عليه– بيوضح لنا باختصار يعني إيه توحيد الألوهية؟ فيقول: "الإله هو الذي تألهه القلوب محبةً وإجلالًا وإنابةً وإكرامًا وتعظيمًا وذلًا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا"، اللي يفهم معاني توحيد الألوهية اللي أنا قلتها الآن هيقدر يفهم كلام ابن القيم الآن. نعيد تاني كلام ابن القيم حين قال –رحمه الله–: "الإله هو الذي تألهه القلوب محبةً وإجلالًا وإنابةً وإكرامًا وتعظيمًا وذلًا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا" هو ده الإله وهو ده توحيد الألوهية اللي احنا عايزين نملى به القلوب.

هذا التوحيد هو الذي قال عنه الحافظ ابن رجب –رحمة الله عليه–: "الإله الذي يُطاع فلا يُعصى هيبةً له وإجلالًا، ومحبةً وخوفًا ورجاءً وتوكلًا عليه وسؤالًا له –سبحانه وتعالى–".

ده توحيد الألوهية باختصار من خلال معاني الوحي، ونعرف الآن توحيد الألوهية اصطلاحًا عند علماء الاعتقاد، ونكمل الدرس القادم.

توحيد الألوهية باختصار عند علماء التوحيد: بعضهم قال: توحيد الألوهية هو إفراد الله بالقصد، والتعريف ده عليه بعض المؤاخذات لأن هل هو إفراد الله بالقصد فقط بالنية فقط؟ لا.

وقال بعضهم: توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة، وهو ده المعنى المختار، ليه؟ لأن العبادة بتشمل عمل القلب تشمل عمل اللسان تشمل عمل الجوارح، وهو ده المعنى الحقيقي اللي ينبغي علينا إن احنا نؤمن به.

يعني إيه توحيد ألوهية؟ هو أن نفرد الله –سبحانه وتعالى– بالعبودية، نفرد الله –عز وجل– بالعبادة، وده اللي احنا هناخده بقى إن شاء الله الدرس الجاي بالتفصيل بإذن الله –تبارك وتعالى–.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[٧] يبدو أنه سبق لسان من الشيخ والمقصود امرأة فرعون

